البيت المرواني

سليمان بن عبد الملك

٩٦_٩٩هـ / ٧١٥_٧١٧م

هو **سليمان بن عبد الملك** بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشـي، (٥٤-٩٩ هـ/ ٦٧٤-٧١٧ م) الخليفـة الأمـوي السـابع، وهو يعـد من خلفاء بني أميـة الأقوياء، ولد بدمشـق وولي الخلافة يـوم وفاة أخيه الخليفـة الوليـد بن عبـد الملك عام ٩٦هـ. ومدة خلافته لا تتجاوز السـنتين وسـبعة أشـهر. (حكم: ٩٦-٩٩ هـ/ ٧١٥-٧١٧ م).

كان الناس في دمشـق يسـمونه مفتاح الخير ويحبونه ويتباركون به، أشاع العدل وأنصف كل من وقف ببابه، والخليفة سـليمان بن عبد الملك يتصـف بالجمال والوقار، عظيم الخلقة، طويل القامة، أبيض الوجه مقرون الحاجبـين فصـيحاً بليغاً، عمل في فـترة توليه الخلافة كل مافيه مصـلحة الناس وحافظ على اتسـاع وقوة الدولـة الأمويـة واهتم بكل مايعني الناس أطلق الأسـرى، وأخلى السـجون، وأحسـن معاملة الجميع فكسـب محبتهم وكان من أعدل خلفاء بني أمية والمسلمين، واستخلف عمر بن عبد العزيز من بعده.

في عهد الخليفة سـليمان بن عبد الملك اسـتمرت الفتوحات الأموية في آسـيا وفتحت جرجان وطبرسـتان، وجهز جيشـاً كبيراً من سواحل الشـام وأعد الأسطول الأموي وسيره في السفن لحصار القسطنطينية، وسار مع الحملة وعزم أن لا يعود حتى تفتح القسطنطينية أو يموت فمات مرابطاً في دابق شمالي مدينة حلب[1]. وهو مقيم بمرج دابق يتابع الأخبار عن الجيش في (١٠ من صـفر ٩٩هـ). قال ابن كثير: "تعهد ألا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت؛ فمات هناك فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله"[2].

توج سـليمان بن عبد الملك أعماله بما يدل على حرصـه على مصلحة المسلمين؛ فاختار عمر بن عبد العزيز قبـل موتـه ليكـون ولياً للعهد ويخلفه مـن بعده، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أصـدر أوامره بسـحب القوات الإسلامية المحاصرة للقسطنطينية والعودة إلى الشام.

قال نهار بن توسعة في سليمان بن عبد الملك:

له رايةٌ بالثغر سوداء لم تـــزل ... تفض بها للمشـركين جـموعُ
مباركةٌ تهدي الجنـــــود كأنها ... عَقابٌ نحت من ريشها الوقوع
على طاعة المهدي لم يبق غيرها ... فأينا وأمر المســلمين جميع

---

١ - الدولة الأموية، موقع ويكيبديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية.

٢ - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، النسخة الرقمية.

الحصار الثالث للقسطنطينية في عهد سليمان بن عبد الملك[١]

على الرغم من عدم نجاح المحاولتين الأولى والثانية في عهد معاوية بن أبي سفيان لفتح القسطنطينية عام ٥٤-٦٠ هـ (٦٧٤-٦٧٩ م)، إلا أن الخليفة سليمان بن عبد الملك كان عازماً على إرسال الجيوش الإسلامية لفتح القسطنطينية، حيث أشار عليه **موسى بن نصير** بأن يفتح ما دونها من المدن، والرساتيق، والحصون، حتى يبلغ المدينة فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها، ووهنت قوتها، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع، فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد، ثم استشار أخاه **مسلمة** فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة، فمتى ما فتحت فأن باقي ما دونها من البلاد والحصون بيدك، فقال سليمان: هذا هو الرأي **ثم أخذ في تجهيز الجيوش** من الشام والجزيرة الفراتية والموصل نحواً من مائة وعشرين ألف مقاتل، وبعث من أهل مصر وإفريقية ألف مركب في البحر عليهم **عمر بن هبيرة**، **وعلى الناس كلهم أخوه مسلمة**، ومعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك في جماعة من أهل بيته، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير.

ثم سار سليمان حتى نزل **مرج دابق** قرب حلب، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوعة، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه **إليون الرومي المرعشي**، ثم ساروا حتى نزلوا على **القسطنطينية**، فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة، قالوا: فابعث إلينا إليون نشاوره، فأرسله إليهم، فقالوا له: رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا، فرجع إلى مسلمة، فقال: قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تتنحى عنهم، فقال مسلمة: إني أخشى غدرك، فحلف له أن يدفع إليه مفاتيحها وما فيها، فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار.

مساعدة البلغار للقسطنطينية[١]:

لما ضيق **مسلمة بن عبد الملك** بمحاصرته على أهل القسطنطينية، وتتبع المسالك واستحوذ على ما هنالك من الممالك، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البرجان يستنصره على مسلمة، ويقول له: ليس لهم همة إلا في الدعوة إلى دينهم، الأقرب منهم فالأقرب، وأنهم متى فرغوا مني خلصوا إليك، فمهما كنت صانعاً حينئذ فاصنعه الآن، فعند ذلك شرع في المكر والخديعة ...، فكتب إلى مسلمة يقول له: إن إليون كتب إليّ يستنصرني عليك، وأنا معك فمرني لما شئت. فكتب إليه مسلمة: أني لا أريد منك رجالاً ولا عدداً، ولكن أرسل إلينا بالميرة فقد قلّ ما عندنا من الأزواد. فكتب إليه: أني قد أرسلت إليك بسوق عظيمة إلى مكان كذا وكذا، فأرسل من يتسلمها ويشتري منها. فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه، فذهب خلق كثير فوجدوا هنالك سوقاً هائلةً، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة، فأقبلوا يشترون، واشتغلوا بذلك، ولا يشعرون بما أرصد

---

١ - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٢٠٨.

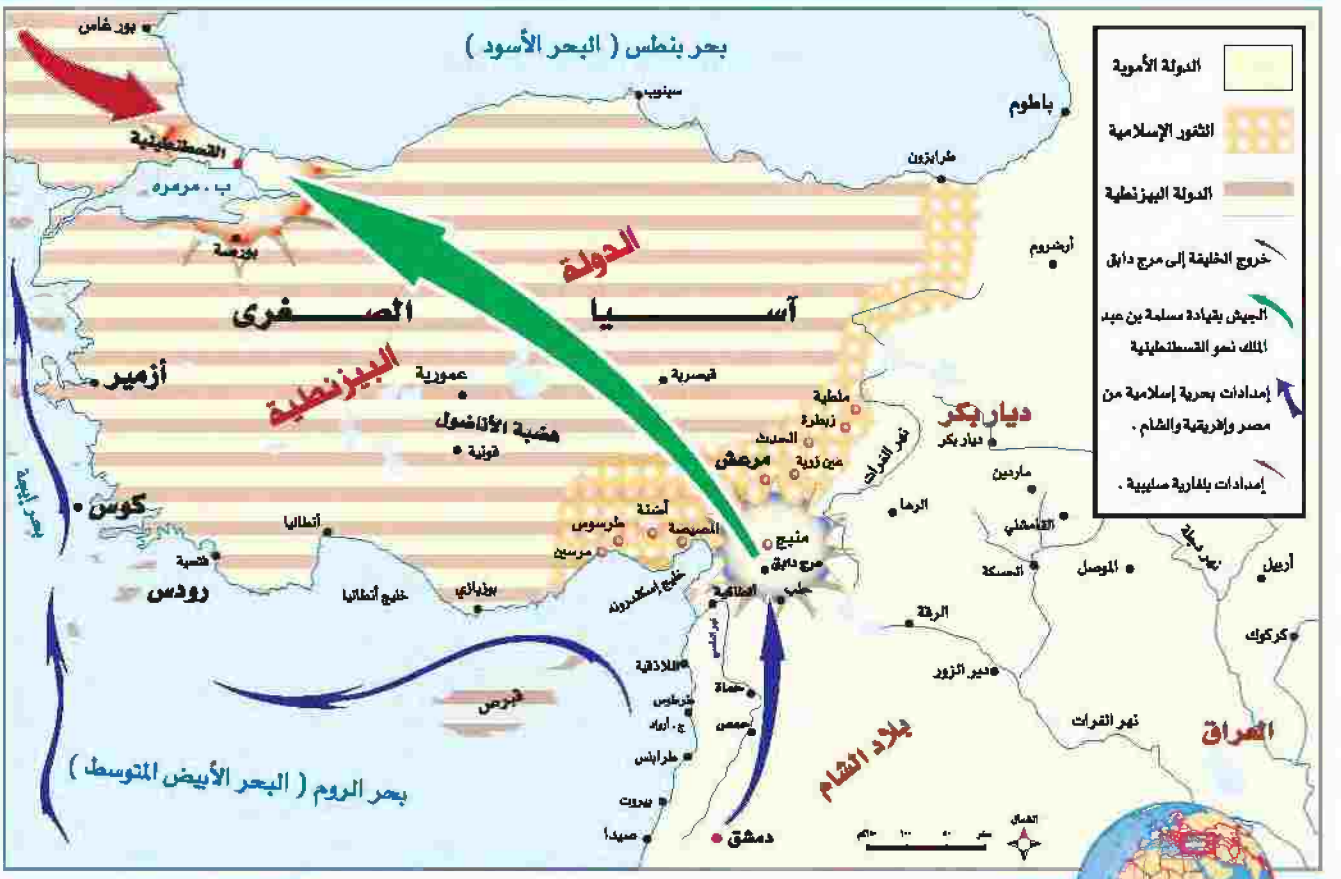

محاولة المسلمين لفتح القسطنطينية في عهد سليمان بن عبد الملك

لهم الخبيث من الكمائن بين تلك الجبال التي هنالك، **فخرجوا** عليهم بغتة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم، وتقول المراجع اليونانية بأن قتلى المسلمين من تلك العملية ما بين ١٢،٠٠٠-١٥،٠٠٠ رجل.

فكتب مسلمة بذلك إلى أخيه سليمان يخبره بما وقع من ذلك، فأرسل جيشاً كثيفاً صحبة **شراحيل بن عبيدة** هذا، وأمره أن يعبروا خليج القسطنطينية أولاً فيقاتلوا ملك البرجان، ثم يعودوا إلى مسلمة، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقطعوا اليهم تلك الخلجان، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً، **فهزمهم المسلمون** بإذن الله، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأسروا خلقاً كثيراً، وخلصوا أسرى المسلمين، ثم تحيزوا إلى مسلمة فكانوا عنده **حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم**، ومن ضيق العيش، وقد كان لهم قبل ذلك مدة طويلة[١].

---

١ - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٢٠٨ .

شتاء القسطنطينية البارد :

ماكاد يمضي ستة شهور على دخــول **ليــو** إلى **القسـطنطينيـة** (٢٥ مارس ٧١٧)، أي فــي سـبتمبر من نفس العام حتى تحرك المسلمون من برجاموس نحو الشـمال، فبلغـوا أبيدوس الواقعة على بوغاز الدردنيل، ولما عبروا الشـاطئ الأوربي، وجـدوا أنفسـهم أمـام **أسوار القسطنطينية**.

« انظر الصورة في هذه الصفحة والصفحة المقابلة ، لتتعرف على طبيعة أسوار القسطنطينية المنيعة » وفي الوقت نفســه كان الأسطول البحري يجتاز الدردنيل وبحر مرمرة محاصراً المدينة من جهة البحر. واستمات إليون (ليو الثالث) بالدفاع عن المدينة، إذ أغلق مداخل البوسفور بسلسلة ضخمة من الحديد وشحن الجنود على الأسـوار لمنع المسـلمين من اقتحامها، وقد عمل **مسلمة** بيوتاً من خشب أمضى بها الشتاء، **غير أن برد الشتـاء بلغ من القسوة والشدة ماعانـى منه المسلمون كثيراً من الجـوع والأمراض، حتى أنهم أكلوا الجمال والخيول والبغال. وأيضاً محاولة إليون مفاوضة البلغار،** فهاجموا المسـلمين الذين حاصـروا المدينة مـن الجانب الأوروبـي، وردوهم عنها، وما سـببته النـيران الإغريقية من خسـائر فادحة بالإسطول. وزاد الأمر سوءاً تواطؤ البحارة النصارى الذين يعملون بالإسطول الإسلامي مع البيزنطيين، وقد هرب معظمهم.

وقد وصلـت إمدادات من مصـر حوالي ٤٠٠ سـفينة، ومن إفريقية ٣٦٠ سفينة، خلال ربيع من عام ٧١٨/ ٩٩هـ، ولكن ذلك لم يغير من مجريات الحرب، وظلت أسـوار المدينة مستعصـية على المسلمين. فترتبت تلك العوامل على تراجع الإسطول الإسلامي نحو الجنوب، وفي أثناء تراجعه صادفته عواصف شديدة، فتحطمت سـفن عديدة ونفدت أقوات الجند، مما أدى إلى اضـطرار المسلمين إلى رفع الحصار والعودة إلى الشام في أغسطس عام ٧١٨. [١]

---

١ - د. السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، دار النهضة العربية.

من أسوار القسطنطينية المنيعة

الفتوحات على الجبهة الشرقية في عهد سليمان بن عبد الملك[١]

غزو جرجان وطبرستان:

في هذه السنة غزا **يزيد بن المهلب** **جرجان وطبرستان**، لما قدم يزيد بن المهلب **خراسان** أقام ثلاثة أشهر أو أربعة ثم أقبل إلى **دهستان وجرجان** وبعث ابنه مخلداً على خراسان وجاء حتى نزل بدهستان وكان أهلها **طائفة من الترك** فأقام عليها وحاصر أهلها معه أهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل الشام، ووجوه أهل خراسان، والري، وهو في مائة ألف مقاتل سوى الموالي والمماليك والمتطوعين فكانوا يخرجون فيقاتلون الناس فلا يلبثهم الناس أن يهزموهم، فيدخلون حصنهم ثم يخرجون أحياناً فيقاتلون فيشتد قتالهم ... ثم إنه ألح عليها وأنزل الجنود من كل جانب حولها، وقطع عنهم المواد فلما جهدوا وعجزوا عن قتال المسلمين، واشتد عليهم الحصار والبلاء بعث صول **دهقان دهستان** إلى **يزيد** **إني أصالحك** على أن تؤمنني على نفسي، وأهل بيتي، ومالي، وأدفع إليك المدينة وما فيها وأهلها؛ فصالحه وقبل منه ووفّى له ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السبي شيئاً لا يحصى وقتل أربعة عشر ألف تركي صبراً **وكتب بذلك إلى سليمان بن عبد الملك.**

ثم خرج يزيد بن المهلب حتى أتى **جرجان** وقد كانوا يصالحون أهل الكوفة على مائة ألف ومائتي ألف أحياناً وثلاثمائة ألف، وصالحوهم عليها، فلما أتاهم **يزيد** **استقبلوه بالصلح**، وهابوه، وزادوه، واستخلف عليهم رجلاً من الأزد، يقال له: أسد بن عبد الله، ودخل **يزيد** إلى **الإصبهبذ** في **طبرستان** فكان معه الفعلة يقطعون الشجر، ويصلحون الطرق، حتى انتهوا إليه فنزل به فحصره وغلب على أرضه، وأخذ الإصبهبذ يعرض على يزيد الصلح ويريده ما كان يؤخذ منه، فيأبى رجاء افتتاحها فبعث ذات يوم أخاه أبا عيينة في أهل المصرين فأصعد في الجبل إليهم، وقد بعث **الإصبهبذ** إلى **الديلم** فاستجاش بهم فاقتتلوا فحازهم المسلمون ساعة وكشفوهم وخرج رأس الديلم يسأل المبارزة، فخرج إليه ابن أبي سبرة فقتله، فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون إلى فم الشعب، فذهبوا ليصعدوا فيه، وأشرف عليهم العدو يرشقونهم بالنشاب، ويرمونهم بالحجارة فانهزم الناس من فم الشعب من غير كبير قتال، ولا قوة من عدوهم على اتباعهم وطلبهم وأقبلوا يركب بعضهم بعضاً حتى أخذوا يتساقطون في اللهوب ويتدهدى الرجل من رأس الجبل، حتى نزلوا إلى عسكر يزيد لا يعبئون بالشر شيئاً.

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، «تاريخ الطبري» ص ١٢٧٤، طبعة بيت الأفكار الدولية، أعتنى به أبو صهيب الكرمي.

فتوح المشرق في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ هـ

٢ أقام يزيد بن المهلب بمكانه في طبرستان على حاله، وأقبل الإصبهبذ كاتب أهل جرجان، ويسألهم أن يثبوا بأصحاب يزيد، وأن يقطعوا عليه مادته والطرق فيما بينه وبين العرب، ويعدهم أن يكافئهم على ذلك فوثبوا بمن كان يزيد خلف من المسلمين، فقتلوا منهم من قدروا عليه واجتمع بقيتهم فتحصنوا في جانب فلم يزالوا فيه حتى خرج إليهم يزيد، وأقام يزيد على الإصبهبذ في أرضه حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقداً ومائتي ألف وأربعمائة حمار موقرة، زعفراناً وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس، وعلى البرنس طيلسان ولجام من فضة وسرقة من حرير، وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مائتي ألف درهم ثم خرج منها يزيد وأصحابه كأنهم فل، ولولا ما صنع أهل جرجان لم يخرج من طبرستان حتى يفتحها.

٣ ذكر الطبري غير رواية أبي مخنف؛ في أمر يزيد وأمر أهل جرجان، ما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن كليب بن خلف وغيره، أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ثم امتنعوا وكفروا، فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان من ناحيته أحد إلا على وجل وخوف من أهل جرجان، كان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان فأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان، ثم غزا مصقلة خراسان أيام معاوية في عشرة آلاف فأصيب وجنده بالرويان وهي متاخمة طبرستان، فهلكوا في واد من أوديتها أخذ العدو عليهم بمضايقة فقتلوا جميعاً فهو يسمى وادي مصقلة. قال: وكان يضرب به المثل حتى يرجع مصقلة من طبرستان، قال علي عن كليب بن خلف العمي عن طفيل بن مرداس العمي وإدريس بن حنظلة: إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان فكانوا يجبئون أحياناً مائة ألف ويقولون هذا صلحنا، وأحياناً مائتي ألف، وأحياناً ثلاثمائة ألف، وكانوا ربما أعطوا ذلك، وربما منعوه ثم امتنعوا، وكفروا فلم يعطوا خراجاً حتى أتاهم يزيد ابن المهلب فلم يعازه أحد حين قدمها فلما صالح صول، وفتح البحيرة، ودهستان، صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص.

طَبَرِسْتانُ: بفتح أوله وثانيه، وكسر الراء، قد ذكرنا معنى الطبر قبله، واستان: الموضع أو الناحية، كأنه يقول: ناحية الطبر، وسنذكر سبب تسمية هذا الموضع بذلك، والنسبة إلى هذا الموضع الطَّبَري؛ قال البُحتري:

وأقيمَت به القيامة في قُمَّ على خالعٍ وعاتٍ عنيدِ ... وثنى معلماً إلى طَبَرِستان بخيلٍ يَرْحَنَ تحت اللبود

وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم؛ خرج من نواحيها من لا يُحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذه النواحي الجبال، فمن أعيان بُلدانها دهستان، وجرجان، واستراباذ، وآمُل، وهي قصبتها، وسارية، وهي مثلها، وشالوس، وهي مقاربة لها، وربما عُدّت جرجان من خراسان إلى غير ذلك من البلدان، وطبرستان في البلاد المعروفة بمازَنْدَران، ولا أدري متى سميت بمازندران، فإنه اسم لم نجده في الكُتب القديمة وإنما يُسمَع من أفواه أهل تلك البلاد، ولا شكّ أنهما واحد، وهذه البلاد مجاورة لجيلان، وديلمان، وهي بين الرّي وقومس والبحر، وبلاد الديلم والجيل، رأيت أطرافها وعاينتُ جبالها، وهي كثيرة المياه متهدّلة الأشجار كثيرة الفواكه إلا أنها مخيفة وخِمَة، قليلة الارتفاع، كثيرة الاختلاف والنّزاع، وأنا أذكر ما قال العلماء في هذا القطر وأذكر فتوحه واشتقاقه، ولا بُدّ من احتمالك لفصل فيه تطويلٌ بالفائدة الباردة، فهذا من عندنا مما استفدناه بالمشاهدة والمشافهة ... . الحموي، معجم البلدان، ج ٢ ، ص ١٤٧.

فتح جرجان:

قال الطبري: وفي هذه السنة فتح **يزيد بن المهلب جرجان** الفتح الآخر بعد غدرهم بجنده ونقضهم العهد قال علي عن الرهط الذين ذكر أنهم حدثوه بخبر جرجان وطبرستان: ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان فأعطى الله عهداً لئن ظفر بهم ألا يقلع عنهم، ولايرفع عنهم السيف ... فلما بلغ المرزبان أنه قد صالح الإصبهبذ، وتوجه إلى جرجان جمع أصحابه وأتى وجاه فتحصن فيها وصاحبها لا يحتاج إلى عدة من طعام، ولا شراب، وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها وحولها غياض فليس يعرف لها إلا طريق واحد فأقام بذلك سبعة أشهر لا يقدر منهم على شيء ولا يعرف لهم مأتى إلا من وجه واحد فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونه ويرجعون إلى حصنهم فبينما هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع يزيد يتصيد ومعه شاكرية له.

وقال هشام بن محمد عن أبي مخنف، فخرج رجل من عسكره من طيىء يتصيد فأبصر وعلاً يرقي في الجبل فاتبعه وقال لمن معه: قفوا مكانكم، ووقل في الجبل يقتص الأثر فما شعر بشيء حتى هجم على عسكرهم فرجع يريد أصحابه فخاف ألا يهتدي فجعل يخرق قباءه ويعقد على الشجر علامات حتى وصل إلى أصحابه ثم رجع إلى العسكر، ويقال: إن الذي كان يتصيد الهياج بن عبد الرحمن الأزدي من أهل طوس وكان منهوماً بالصيد فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن أينم الواشجي صاحب شرطة يزيد فمنعوه من الدخول فصاح إن عندي نصيحة.

وقال بعضهم: استعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد، وقال له: إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت وإياك أن أراك عندي مهزوماً وضم إليه جهم بن زحر، وقال يزيد للرجل الذي ندب الناس معه: متى تصل إليهم؟ قال: غداً عند العصر فيما بين الصلاتين، قال: امضوا على بركة الله، فإني سأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر ، فساروا فلما قارب انتصاف النهار من غد، أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار في حطب كان جمعه في حصاره إياهم فصيره آكاماً فأضرموه ناراً فلم تزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران، ونظر العدو إلى النار فهالهم ما رأوا من كثرتها؟! فخرجوا إليهم، وأمر يزيد الناس حين زالت الشمس فصلوا فجمعوا بين الصلاتين، ثم زحفوا إليهم فاقتتلوا. وسار الآخرون بقية يومهم والغد فهجموا على عسكر الترك قبيل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه، ويزيد يقاتل من هذا الوجه، فما شعروا إلا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم وركبهم المسلمون فأعطوا بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم، وقتل مقاتلتهم، وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندرهز وادي جرجان، وقال من طلبهم بثأر فليقتل فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة، والخمسة في الوادي، وأجرى الماء في الوادي على الدم، ... وبنى مدينة جرجان، وقال بعضهم: قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفاً ولم تكن قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفي. الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، « تاريخ الطبري » ص ١٢٧٧، طبعة بيت الأفكار الدولية ، أعتنى به أبو صهيب الكرمي .

٣ **كتب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك.**

أما بعد: فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً وصنع للمسلمين أحسن الصنع فلربنا الحمد على نعمه، وإحسانه أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف، وكسرى بن قباذ، وكمري بن هرمز، وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، ومن بعدهما من خلفاء الله حتى فتح الله ذلك لأمير المؤمنين كرامة من الله له، وزيادة في نعمه عليه، وقد صار عندي من خُمس ما أفاء الله على المسلمين، بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفيء والغنيمة ستة آلاف ألف، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله .